Journal of Islamic Sciences (JIS) • Vol 6, Issue 2 (2023) • P: 183 - 169
https://journals.ajsrp.com/index.php/jis
ISSN: 2664-4347(Online) • ISSN: 2664-4339 (Print)

The standards of architecture in The Holy Quran

Dr. Maryam Hussain Alsada
Ministry of Endowments and Islamic Affairs | Qatar

Received:
08/06/2023
Revised:
10/06/2023
Accepted:
15/06/2023
Published:
30/06/2023

* Corresponding author:
m.alsada66@gmail.com

Citation: Alsada, M. H. (2023). The standards of architecture in The Holy Quran. *Journal of Islamic Sciences, 6(2),* 169 – 183. https://doi.org/10.26389/AJSRP.S080623

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This research is summarized in the presenting the architecture standards stated by the Quranic methodology, which should never be neglected in the construction and reconstruction process, and its employment in the required manner in a way that guarantees its survival and continuity. In this research, I relied on the descriptive methodology, as it is the most appropriate methodology for humanitarian studies, and more closely related to the subject of the research. Which may explain the results as required, and i had mentioned the noble verses that state the standards of architecture in Holy Quran, and classified according to their topics in the specialized section of the study, and deduced some benefits that revolve around the noble verses by referring to the books of interpretation of the Holy Quran, and relying in transmission on the closest to the meaning and purpose of the verse, while limiting it to the inference from the verse is often, and the link between the verses according to the methods of objective interpretation.

The research also focuses on clarifying the geographical, environmental, structural, and design standards of architecture. Finally, one of the most important results of this research was: that urbanization in the Holy Qur'an is not limited to physical interest only; but it includes spiritual and emotional urbanization, which is represented by faith and good morals. Moreover, the perfection of Islamic architecture lies in its continuity in preserving the content and functional purpose of the building, and applying the contents and controls that it had previously through the extension of time until the present time.

Keywords: Urbanization – Architecture – Human – Civilization – Design.

ضوابط العمارة في القرآن الكريم

الدكتورة / مريم حسين السادة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية | دولة قطر

المستخلص: يتلخص هذا البحث في بيان ضوابط العمارة التي حددتها المنهجية القرآنية، والتي ينبغي عدم إغفالها أبداً في عملية البناء والتعمير، وتوظيفها على الوجه المطلوب توظيفاً يضمن لها البقاء والاستمرار. وقد اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الوصفي كونه المنهج الأكثر تناسباً مع الدراسات الإنسانية، والأكثر ارتباطاً بموضوع البحث؛ مما يفسر النتائج بالشكل المطلوب، وتم جمع الآيات الكريمة التي تتحدث عن ضوابط العمارة، وتصنيفها حسب موضوعاتها في المباحث، واستنباط بعض الفوائد التي تدور حول الآيات الكريمة من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، والاعتماد في النقل على الأقرب لمعنى الآية ومقصدها، مع الاقتصار على موضع الاستدلال من الآية غالباً، والربط بين الآيات حسب طرائق التفسير الموضوعي.

كما يتمحور البحث حول بيان ضوابط العمارة البيئية، والجغرافية، والإنشائية، والتصميمية. وكان من أهم النتائج التي تمخضت عن هذا البحث: عدم اقتصار العمارة في القرآن الكريم على البناء المادي فحسب؛ بل يشمل العمران الروحي والوجداني والمتمثل بالإيمان والتحلي بمكارم الأخلاق، كما تكمن عبقرية العمارة الإسلامية في استمراريتها بالمحافظة على المضمون والغرض الوظيفي من البناء، وتطبيق المضامين والضوابط التي كانت عليها سابقاً عبر امتداد الدهر حتى وقتنا الراهن.

الكلمات المفتاحية: العمران – العمارة – الإنسان - الحضارة – التصميم.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً ورحمةً وإحساناً، وكرم الإنسان؛ فميزه بالعقل واللسان، وعلمه من العلم والبيان، ونوره بنور الإيمان، وأرشده إلى بر الأمان، والسِلم في الأوطان، وجعله مستخلفاً في الأرض من أجل الإصلاح فيها عمارةً وعمراناً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ رسالته، وأدى أمانته، ونصح لأمته، وهداهم بسنته، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمما لا شك فيه أن للعمارة الإسلامية أثراً في برهنة العلاقة الروحية التي ترتبط بالمباني الدينية؛ فمثلاً نرى الأثر الواضح في نفوس المسلمين أثناء مشاهدتهم لأحد العناصر المعمارية وما تغرسه من قيم روحانية، كالمئذنة وما تتضمنه من معان اتصال أهل الأرض بخالق الأرض والسماء وما بينهما، والمحراب وما يبعث من معان يتقرب بها الإنسان إلى خالقه، وغيرها من العناصر؛ فالعمارة الإسلامية لا تقتصر على الشكل المادي فحسب؛ بل تتعداه لتشمل الاهتمام بالمضمون والجوهر المقتبس من تعاليم الدين الإسلامي، ومنهجية القرآن الكريم التي تعتني بالجانب المعنوي، ولا تغفل الجانب المادي.

ومن خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم تتضح العناية الإلهية حول العمارة الإسلامية، من خلال الاهتمام بالجانب البيئي، والجغرافي، بالإضافة إلى الاهتمام بالجانب الإنشائي، والتصميمي، والذي انعكس تأثيره على المباني الإسلامية وجودة تصميمها. وهناك طرق علمية ومنهجية تحدها ضوابط ومعايير يجب مراعاتها أثناء عملية التصميم والإنشاء، مقتبسة من منهجية القرآن الكريم في البناء المعماري، سواء كانت تلك الضوابط والمعايير تتعلق بالبيئة وجغرافية الموقع، أو كانت تتلعق بالتصميم والإنشاء، وهذا ما سيتم التطرق إليه في هذه الدراسة، التي ستوضح أهم الضوابط التصميمية في العمارة الإسلامية، التي تراعي القيم العقائدية والإنسانية، وتراعي الظروف الجغرافية والمناخية وفق ما جاءت به المنهجية القرآنية.

1- مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول الإجابة عن التساؤلات الآتية:

التساؤل الرئيس: ما مدى أثر منهج القرآن الكريم في العمارة، كما يتفرع من هذا السؤال أسئلة فرعية أخرى، منها:

- ما هي ضوابط العمارة في القرآن الكريم؟
- ما هي المعايير البيئية والجغرافية للعمارة في القرآن الكريم؟
- ما هي الأسس التي يقوم عليها المبنى في القرآن الكريم؟
- ما هو دور اللمسات التصميمية في القرآن الكريم؟
- كيف وضح القرآن الكريم علاقة التقوى بالعمارة؟

2- أهداف البحث:

- المساهمة في الوعي المعماري المبني على العمران الوجداني، والجمع بين الجوهر المتمثل بالقيم الوجدانية وبين المظهر المتمثل في الشكل المادي الذي جاء في منهجية القرآن الكريم، والذي يتوافق مع التقدم التكنولوجي والتقني الذي يتطور جيلاً بعد جيل.

- القدرة على استيعاب القيمة الحضارية للأعمال المعمارية بالنظر في مدى مراعاتها للضوابط المعمارية، واستغلال عناصر العمارة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.
- تحقيق مجتمع قادر على مواكبة التطورات المعمارية عبر مختلف العصور؛ وذلك من خلال تتبع المنهجية القرآنية في الضوابط المعمارية، والتي تراعي الزمان والمكان، وكل ما يكفل مصالح الإنسان.

3- أهمية البحث:

- تُعتبر العمارة الأساس الذي يقاس عليه مدى تطور الدول، وتقدم حضارتها؛ فهناك ارتباط وثيق بين العمارة وبين الحضارة.
- يعتبر موضوع العمارة من الموضوعات التي يتزايد الاهتمام بها يوماً بعد يوم، لا سيما في المجتمع المعاصر؛ حيث إنها تخدم الماضي والحاضر والمستقبل، ولا يمكن إغفال الضرورة الملحة حول المحافظة على التراث المعماري الإسلامي في ضوء التحديات المعاصرة.
- الحاجة إلى الابداع في التصميم المعماري ومراعاة الظروف البيئية، والمواقع الجغرافية وفق المنهجية القرآنية في العمارة والبناء.

4- منهج البحث:

- يعتمد البحث على المنهج الوصفي (Descriptive Method) كونه المنهج الأكثر تناسباً مع الدراسات الإنسانية، نظراً لما يقوم به من جمع معلومات حول نظرية أو جدوى معينة، ثم تصنيفها، وتحليل ما فيها؛ حيث يعرف المنهج الوصفي بأنه: "أسلوب من أساليب التحليل المركزي على معلومات عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة(1)"، وهذا ما تم استخدامه في هذا البحث الذي سيتم من خلاله وصف منهج القرآن الكريم في تحديد ضوابط العمارة، وتصنيفها، وتحليل ما فيها، والبحث في كتب التفسير حول مدلولات ومعاني بعض الضوابط المعمارية في القرآن الكريم، ووصف ضوابط العمارة البيئية والجغرافية، والإنشائية والتصميمية في القرآن الكريم.
- جمع الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن موضوع ضوابط العمارة، وتصنيفها حسب موضوعاتها في مباحث البحث.
- عزو الآيات القرآنية الكريمة الواردة في البحث بذكر اسم السورة، ورقم الآية في كل موضع ترد فيه الآية الكريمة.
- تخريج الأحاديث والآثار من الكتب الموثوقة.
- استنباط بعض الفوائد والنكت التي تدور حول الآيات الكريمة من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، والاعتماد في النقل على الأقرب والأوضح لمعنى الآية ومقصدها، مع الاقتصار على موضع الاستدلال من الآية غالباً، والربط بين الآيات حسب طرائق التفسير الموضوعي.

5- الدراسات السابقة:

- العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية من خلال بعض النماذج (دكتوراه): بلحاج طرشاوي، إشراف: د/معروف بلحاج – جامعة أبي بكر بلقايد – الجزائر – 1428هـ/1429هـ.

(1) دويدري، رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، ص183.

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي عند الحديث عن المنشآت المعمارية، كما اعتمد على المنهج التحليلي في القراءات الدلالية للعوامل الثقافية والبيئية، ويحاول الباحث أن يربط العمارة الإسلامية بالتراث الفقهي، ربطاً لا تكاد تنفك عنه، لما بينهما من الصلة الوطيدة وخاصة في الجانب التشريعي المتعلق بفقه العمران، وكان من أبرز نتائج الدراسة: اعتبار أحكام الشريعة الإسلامية من أهم مصادر العمارة الإسلامية، فقد صاغت أحكام البناء منظومة معمارية خاصة، تؤطرها مجموعة من القوانين، وتسيرها مؤسسات نافذة.

وتختلف هذه الدراسة عن هذا البحث؛ لأن الباحث ركز على مظاهر العمارة وبين مصادرها، واستشهد بالعديد من النماذج المعمارية في مختلف الدول العربية، ولم يتطرق إلى ضوابط العمارة في القرآن الكريم.

- القيم الإنسانية في العمارة الإسلامية (ماجستير): مصطفى عبدالحميد محمد – إشراف: د/محمد عزمي أحمد، ود/عزت عبدالمنعم مرغني – جامعة أسيوط – مصر – 2008م.

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي للمعلومات التي يتم الحصول عليها من المصادر المختلفة ذات الصلة بالموضوع، كما يهدف إلى دراسة القيم الإنسانية التي تحققت من خلال العمارة الإسلامية الموافقة لتعاليم الإسلام والتي مصدرها الشريعة الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتي جاءت لتحقق للبشرية السعادة والراحة في كل مكان وزمان، وكان من نتائج الدراسة: الأصالة في العمل المعماري تعني: البحث والدراسة في القيم المعمارية السابقة والاستفادة من القيم الأصلية لهذه العمارة وتمييزها وما تنتجه من فكر وراء تلك الحلول المعمارية الناجحة التي ساهمت في التوفيق بين قيم الإنسان ومتطلبات ومعطيات البيئة.

وركز الباحث في دراسته على العلاقة التي تربط القيم الإنسانية بالعمارة، وتختلف عن هذا البحث الذي يبرز الضوابط المعمارية.

- الوعي الحضاري، مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي: مسفر علي القحطاني- الشبكة العربية للأبحاث والنشر- ط1-2012م.

تهدف الدراسة إلى التأكيد على أهمية الوعي بالعمران والبناء الفكري للتقدم كخطوة أولى لا بد من التأكيد عليها في سلم الأولويات النهضوية، ومن أبرز نتائج الدراسة: أهمية استلهام فقه العمران في مواجهة الكثير من التحديات المعاصرة التي يواجهها الفرد والمجتمع.

ويركز الباحث على قيم العمل الدنيوي والترغيب في العمل العمراني مشدداً على الوعي بالعمران والفكر، دون التطرق إلى غالب موضوعات هذا البحث.

- المنهج الإسلامي في الاستدامة وأثره في بناء البيئة العمرانية المعاصرة (ماجستير): طارق محمد أحمد فرج الله – إشراف: د/عبدالكريم حسن محسن- الجامعة الإسلامية- غزة – 2011م/1432هـ.

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي وذلك بعمل دراسة وصفية من أجل الكشف عن الآراء والتوجهات المتعلقة بموضوع الاستدامة ثم تحليل هذه المعلومات تحليلاً دقيقاً، بالإضافة إلى الاستعانة بالمنهج الاستقرائي. وتهدف الدراسة إلى وضع مبادئ واستراتيجيات للتخطيط العمراني المستدام من خلال المنظور الإسلامي من أجل بناء بيئة عمرانية معاصرة مستدامة تتوفر فيها مقومات الحياة الكريمة وأسباب الراحة المادية والمعنوية للسكان في مجتمعاتهم وبيئاتهم المختلفة؛ حيث يعتبر المعنى الحقيقي لبناء البيئات العمرانية وتخطيطها هو السيطرة على كيان المدينة والقرية وتوفير المكان المناسب للنشاط الإنساني، ومن أهم نتائج الدراسة: تُقسم ركائز التنمية المستدامة في الإسلام إلى ثلاث ركائز أساسية هي عمارة الأرض، والاهتمام بالإنسان، وحماية الموارد الطبيعية وصيانتها وحماية البيئة.

ويتبين من الدراسة السابقة تركيز الباحث على التنمية المستدامة وأثرها على العمران، دون تطرقه إلى ضوابط العمارة الإنشائية والتصميمية.

6- خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: واشتملت على ما تقدم.

المبحث الأول: الضوابط البيئية والجغرافية للعمارة في القرآن الكريم،

المبحث الثاني: الضوابط الإنشائية والتصميمية للعمارة في القرآن الكريم.

الخاتمة: تشتمل على النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الضوابط البيئية والجغرافية للعمارة في القرآن الكريم

تعتبر العمارة البيئية والجغرافية من أهم ما تعنى به العمارة الإسلامية؛ حيث "أولت التشريعات والقوانين عناية كبيرة لحماية البيئة، ونظافة المدن الإسلامية، ويظهر ذلك في وجود اشتراطات ومواصفات بنائية معينة يجب توافرها[1]"؛ حيث لا يمكن فصل العمارة البيئية عن العمارة الإسلامية، وذلك لارتباطها الوثيق بعمليتي الإنشاء والتصميم، سواء من ناحية عناصر التصميم ومبادئه، أم مجالاته وضوابطه، قال تعالى: ((**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**)) [سبأ ١٥]، يقول صاحب التحرير والتنوير في تفسيره للآية الكريمة: "وجنتان تشبيه بليغ، أي في مساكنهم شبيه جنتين في أنه مغترس أشجارا ذات ثمر متصل بعضها ببعض مثل ما يعرف من حال الجنات، وتثنية جنتين باعتبار أن ما على يمين السائر كجنة، وما على يساره كجنة[2]"؛ فللظروف البيئية والأحوال المناخية الأثر البالغ الذي يعود على تصميم المباني والمنشآت المختلفة؛ والذي ينعكس على جمالها، وجودة تصميمها.

ولفهم علاقة العمارة مع البيئة في الإسلام لا بد أولاً من فهم علاقة الإنسان مع البيئة في الإسلام؛ لأن الإنسان هو من يُنشئ العمارة، ويتبين أن علاقة الإنسان مع البيئة محكومة بـ:

1- ضابط تسخير العناصر البيئية لخدمة الإنسان لينهض برسالته الاستخلافية.

2- ضابط الاعتدال وهو شرط في استثمار موارد البيئة، وينبع من طبيعة دور المستخلف الذي جُعل سيدا في الكون لا سيد الكون، فالبيئة أمانة تراعى، وملكية عامة مشتركة[3].

ويؤكد القرآن الكريم على ضرورة مراعاة العديد من الأمور قبل البدء في مرحلة البناء، ويحدد أهم الضوابط المعمارية، على النحو الآتي:

1- ضوابط تتعلق بالطبيعة والمناخ، وما يندرج تحت ذلك من درجة حرارة، ومياه، ورطوبة، ورياح.

2- ضوابط تتعلق بالجانب الجغرافي، وانتقاء الموقع.

3- ضوابط مرتبطة بجوانب مختلفة كالجانب الاجتماعي، والجانب الاقتصادي، والجانب الثقافي.

ولعل من أهم ضوابط العمارة البيئية والجغرافية في القرآن الكريم: حسن اختيار الموقع الجغرافي للمبنى، وحسن اختيار مواد البناء، والعناصر التي تتناسب مع الظروف المناخية لمنطقة المبنى، ودراسة ما فيها من سلبيات وإيجابيات؛ ثم الاستفادة من تلك الإيجابيات والمميزات، وتوظيفها في خدمة البناء، وتجنب السلبيات، وتفادي الوقوع فيها، وسيتم ذكر هذه الضوابط بشكل أكثر تفصيلاً خلال السطور القادمة.

(1) وزيري، يحيى حسن، العمران والبنيان في منظور الإسلام، ص200.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص166.

(3) ضاهر، عبدالوهاب مصطفى، العمارة وحل مشاكل البيئة الإسلام، ص6، بتصرف يسير.

المطلب الأول: ضوابط بيئية

يعتبر المناخ من أهم العناصر البيئية؛ لما يلعبه من دور جلي في التأثير على تخطيط وتحديد موقع المبنى، وتصميمه، واختيار مواد البناء؛ فالمناخ بما فيه من حرارة، ورطوبة، ورياح، ونبات وأشجار، وطاقة يعتبر مصدرها الرئيس الشمس، يشكل دوراً هاماً في التأثير على الإنسان، وعلى مستوى إنتاجيته، وممارسته لمختلف الأعمال والأنشطة؛ مما يؤكد على ضرورة الاهتمام بهذا العنصر البيئي، وضرورة حسن انتقاء مواقع البناء.

1- مراعاة الظروف المناخية:

قال تعالى: **((مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا))** [الإنسان:13]، تلفت الآية الكريمة النظر إلى نعيم الآخرة وما فيه من جو لطيف معتدل، يؤثر في النفوس ويشعرها بالراحة، يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "فهم في جلسة مريحة مطمئنة والجو حولهم دافئ في غير حر، نديّ في غير برد؛ فلا شمس تلهب النسائم، ولا زمهرير وهو البرد القارس[1]"، وتوجه الآية الكريمة نظرنا إلى بعض الأمور التي يجب مراعاتها في مرحلة الإنشاء والبناء، وهي الحرارة الشمسية، وكيفية الاستفادة منها، وتوظيف المناخ بما يخدم موقع البناء؛ حيث تؤدي دراسة درجات الحرارة، والمناخ بشكل عام خلال الفترات الزمنية المختلفة في موقع جغرافي معين إلى جودة التصميم وملائمته لظروف المكان والزمان، وظهور التصميم في أجمل حلة؛ وذلك من خلال دراسة الجدوى القبلية وما تتضمنه من نتائج وتوصيات قبل البدء في عملية التصميم والبناء من خلال اقتراح مواد البناء، وعناصره، ومواقعه، وكيفية استغلال العناصر البيئية كالظل والطبيعة والمناخ والاتجاه؛ فمن الجميل خلق عمارة عضوية: تنبع من البيئة وتعكس جمالها مستفيدة من أي تطور تكنولوجي، وتعطي المعالجة الفراغية بشكلها المعماري أهمية رئيسية كقاعدة انطلاق في التشكيل المعماري[2].

هذا وتختلف طريقة التصميم وأنواعه من بيئة إلى بيئة أخرى، على سبيل المثال تصميم المبنى ومواد البناء وعناصره في بيئة باردة يختلف لا محالة عن البيئة الصحراوية الحارة؛ فالبيئة الباردة تحتاج إلى تصميم أبواب ونوافذ مواجهة للشمس طوال الوقت قدر الإمكان، وتحتاج إلى مواد بناء تساعد على امتصاص درجة الحرارة والاحتفاظ بها وقتاً طويلاً واختيار الألوان التي تساعد على ذلك، مع ضرورة توفير طاقات التدفئة. بخلاف البيئة المناخية الحارة والتي تحتاج خلاف ما تحتاج إليه البيئة المناخية الباردة؛ "فالمبنى المتوازن مناخياً هو الذي يستطيع أن يواجه الضغوط والمشكلات المناخية، مستعملاً جميع الموارد المناخية والطبيعية المتاحة التي تحقق راحة الإنسان داخل المبنى[3]". ولا يمكن من توحيد عملية البناء والتصميم والمواد والعناصر وتطبيقها على مختلف المواقع الجغرافية باختلاف الظروف المناخية، نعم هناك معايير تصميمية محددة لجميع المباني الإسلامية، ولكن نشير هنا إلى المواد والعناصر البيئية التي تستخدم في مرحلة التصميم والبناء والتي يجب اختيارها بما يتوافق مع طبيعة المكان؛ حيث من واجب المهندس المعماري أن تكون دراساته وأفكاره أساسها التفهم العميق لإمكانيات العصر الذي يعيشه، وطبيعة المجتمع الذي يخدمه، كما يجب أن تكون هذه الدراسات والأفكار تنتمي إلى البيئة المحيطة وتستفيد من صفاتها الجغرافية والمناخية[1].

2- المواد الطبيعية، والاستفادة منها:

قال تعالى: ((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ)) [النحل:80]، تشير الآية الكريمة إلى كيفية

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3782.

(2) عبدالجواد، توفيق حمد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، ص٢٢، بتصرف.

(3) وزيري، يحيى حسن، العمارة الإسلامية والبيئة، ص11-12.

(1) الخولي، محمد بدرالدين، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، ص4، بتصرف يسير.

الاستفادة من المواد الطبيعية المتاحة، وكيفية استغلالها في خدمة البناء والعمارة، بما يحافظ على جودة المبنى وصلابته؛ فالمباني يجب أن تتميز بالقوة في البناء، والجودة في التصميم، كما نلتمس من الآية الكريمة إمكانية الاعتماد على مواد البناء المتوفرة في البيئة؛ مما يوفر الكثير من الجهد والمال.

3- الظل والماء، وأثرهما في العمارة:

من الضوابط البيئية للعمارة في القرآن الكريم مراعاة الظل الذي يعتبر عنصراً من العناصر البيئية المؤثرة في عملية التصميم، والذي يعمل على خفض درجة الحرارة، ويساهم في الوقاية من أضرار الأشعة الشمسية، لا سيما في فصل الصيف الذي ترتفع فيه درجة الحرارة، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الظلال في قوله تعالى: **((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ))** [النحل:81]؛ فمن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى تلك النعمة التي تقي الإنسان من ضرر الإشعاع الشمسي، وهي نعمة الظلال التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في مرحلة التصميم والبناء، ومن روعة الأسلوب القرآني في الآية الكريمة أنه يبين كيف يعمل الظلال على حماية الإنسان من أشعة الشمس، موضحاً في نفس السياق دور الملابس التي تعمل على نفس الوظيفة.

قال تعالى: **((وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ))** [الواقعة: 30-31]، في الآية الكريمة تم ذكر عاملين من العوامل الطبيعية التي تساعد في خفض درجة الحرارة، والمتمثلة في الظل والماء، والتي يحسن استغلالها وتوظيفها فيما يخدم العمارة. وقال تعالى: **((وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ (20) وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ))** [فاطر:19-21]، وفي الآية الكريمة تم ذكر الشيء مع ضده لتتم المقارنة بين الأضداد واستخراج الفرق بينهما، ومن هذه الأمور المتضادة التي جاء ذكرها في الآية الكريمة الظلال الذي تكون فيه درجة الحرارة أقل، لتأتي مقابلته مع ما يضاده والمتمثل في الريح شديدة الحرارة.

4- الأشجار والنباتات:

من أهم ضوابط العمارة البيئية في القرآن الكريم والتي ينبغي عدم الإغفال عنها أبداً تلك التي تتعلق بالجانب الأخضر، أو ما يسمى بالعمارة الخضراء، والمتمثلة في النباتات والأشجار المختلفة، سواء كانت تلك الأشجار داخل المبنى أم حوله؛ وذلك لما تقوم به من وظائف عديدة، أهمها: تلطيف الجو واعتداله في مختلف الفصول، والوقاية من العواصف الرملية وما تنتجه من الأتربة والشوائب، وكذلك تأثيرها من الناحية الجمالية، والنفسية، وإدخال البهجة والسرور، وجميل الشعور، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم، قال تعالى: **((أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ))**[النمل: ٦٠].

والمقصود بالعمارة الخضراء التي تتوافق مع البيئة، وتراعي متطلبات السكان الذين يمكثون فيها، وتعتمد في تصميمها وإنشائها على المواد والعناصر الطبيعية. ومما لا شك فيه أيضاً أن للمسطحات الخضراء فوائد صحية وبيولوجية لها أثر طيب على صحة الإنسان، وذلك من خلال العملية البيولوجية التي يقوم بها النبات والناتجة عن عملية التمثيل الضوئي، حيث يحتاج النبات في هذه العملية إلى ثاني أكسيد الكربون الناتج من مخلفات الإنسان والحيوان، وينتج الأكسجين النقي اللازم لتنفس الإنسان والكائنات الحية الأخرى[1].

المطلب الثاني: ضوابط جغرافية

(1) وزيري، يحيى حسن، العمران والبنيان، ص205، بتصرف.

1- حسن انتقاء مواقع البناء:

من أهم الضوابط الجغرافية في العمارة حسن انتقاء مواقع البناء، وهناك العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تبين ضرورة اختيار الموقع الجغرافي المناسب لكل مبنى، واستغلال الإمكانيات والقدرات والمواد المتاحة في خدمة ذلك، يقول تعالى: **((وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ))**[الأعراف:74]؛ تبين الآية الكريمة كيفية استغلال قوم ثمود للمواقع الجغرافية باختلافها، واختيار نوعية المباني وفقاً لطبيعة المناخ؛ حيث بنوا لهم مساكن وفقاً لأمكانياتهم التي أنعمها الله سبحانه عليهم، واختاروا المكان المناسب لها، والتي كانت تقيهم شدة الحرارة في فصل الصيف، بالإضافة إلى مساكنهم وقصورهم التي كانت تتناسب مع فصل الشتاء، مراعين بذلك الظروف المناخية، وتقلبات الأجواء، ومستثمرين الإمكانيات والموارد الطبيعية المتاحة لديهم.

وهناك العديد من الفوائد عند حسن انتقاء موقع المبنى وفقاً بما يتناسب مع الظروف المناخية في المنطقة، ولعل من أهم تلك الفوائد الاستفادة من الإضاءة والأشعة الشمسية؛ فعلى سبيل المثال إن كان يحيط المبنى الأبراج العالية، أو الجبال الشاهقة سيكون المبنى في الظل طيلة فترة النهار، وبالتالي لا يمكن الاستفادة من الأشعة الشمسية، وسيتم تقليل نسبة وصول الهواء إلى المبنى؛ فيجب أن يتوافق شكل المبنى وتصميمه مع الموقع الذي يقام عليه المبنى، وأن يتناسب مع ظروف المنطقة وطقسها، "وفي إشارة بديعة يوجه القرآن الكريم النظر إلى العمارة المتوافقة بشكل تام مع البيئة في عملية البناء، حيث يقول تعالى: **((وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ))** [الحجر:82]، فالعمارة في المناطق الجبلية عندما تتوافق بشكل تام مع الوسط البيئي المحيط بها؛ تشعر وكأنما البيوت منحوتة في الجبال[1]".

وقال تعالى: **((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ))** [آل عمران: ٩٦]، في الاختيار الإلهي لموقع مكة المكرمة الذي فيه المسجد الحرام (قبلة المسلمين) حكمة كبرى لم تكن لتعرف إلا بعد الحقائق والاكتشافات العلمية الحديثة؛ فالمسلمون عندما يتجهون في صلاتهم إلى مكة المكرمة؛ فهم يتجهون إلى موقع يعتبر بمثابة مركز اليابسة، بالإضافة إلى توسط موقع مكة المكرمة لتسهيل عملية الحج والعمرة للمسلمين من مختلف بقاع الأرض؛ فموقعها متوسط بالنسبة لكافة القارات فهي لا تقع في أقصى الشرق أو المغرب، أو في أقصى الشمال أو الجنوب[1].

2- مراعاة الاتجاهات الأربعة قدر المستطاع:

من الضوابط الجغرافية في عمارة المباني الإسلامية أن تكون متوجهة نحو الاتجاهات الأربعة شمالاً أو جنوباً، أو شرقاً أو غرباً؛ لما لهذا الضابط من دور فعال في الاستفادة من أشعة الشمس، ومن الآيات الكريمة التي أشارت إلى أحد الاتجاهات، قوله تعالى: **((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا))**[مريم:16].

وكذلك ينبغي التركيز في تحديد اتجاه المداخل الرئيسية للمباني والأبواب والنوافذ، وانتقاء أماكن الفتحات في المباني، خصوصاً واجهة المباني وتوزيعها على حسب ما تتعرض له من أشعة الشمس. بالإضافة إلى ضرورة الاهتمام بتهوية المبنى من خلال توزيع الأبواب والنوافذ، واختيار المواقع، والاتجاهات المناسبة، وبالأحجام المختلفة التي تتناسب مع كل اتجاه، ومحاولة تقابل النوافذ مما يساعد على سهولة حركة التيارات الهوائية وتوزيعها في المبنى؛ وذلك من أجل المحافظة على الهواء النقي، وتحسين درجة الحرارة.

(1) حسن، نوبي محمد، العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، ص15.

(1) وزيري، يحيى حسن، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، ص77، بتصرف.

المبحث الثاني: الضوابط الإنشائية والتصميمية للعمارة في القرآن الكريم

من خلال النظر في آيات الذكر الحكيم يتضح ورود بعض المصطلحات التي تتعلق بإنشاء المباني، والأسس التي يقوم عليها المبنى، بالإضافة إلى اللمسات التصميمية ودورها في عملية البناء والعمارة. ولكل مبنى ضوابطه ومعاييره الخاصة به على سبيل المثال للمساجد ضوابطها الخاصة بها كالضوابط المتعلقة باتجاه القبلة، وموقع الأبواب والنوافذ وطريقة توزيعها بأن تكون خلف المصلين أو بجانبهم وأن لا تكون أمامهم، وأن يكون المسجد بشكل مستطيل، بالإضافة إلى المعايير المتعلقة بالمنبر، ومساحة المسجد، وتحديد مواقع الوضوء، ومراعاة التشكيل العام للمسجد، وغيرها من المعايير، وسيتم في هذا المبحث الاقتصار على ذكر الضوابط التي تشترك في جميع المباني ومختلف المنشآت الإسلامية.

وبناءً على ما سبق أرتأيت تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين: الأول: يتعلق بالضوابط الإنشائية، والثاني: يتعلق بالضوابط التصميمية، على النحو الآتي:

المطلب الأول: ضوابط إنشائية

1- مراعاة الجانب الديني:

لا بد أن يكون البناء قائماً على أسس وضوابط الشريعة الإسلامية، والتي من أهمها التقوى التي تعتبر الأساس المعنوي لكل عمران، والركيزة الأساسية لكل مبنى، يقول تعالى: ((**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**))[التوبة: ١٠٩]؛ تناولت الآية الكريمة عدة عوامل ذات تأثير في تأسيس أساسات المنشأ:

- فالتعبير القرآني (أسس بنيانه) يعطي دلالة هندسية أنه لا بد أن يكون هناك أحمال ناشئة من البنيان تستلزم إنشاء أساسات لها، واختيار نوع مادة الأساس طبقاً لذلك.
- ولفظة (شفا) لها مدلول هندسي يفيد بأنها المنطقة التي تبدأ من حافة الجرف إلى نقطة بدء التصدع في الجرف وبالابتعاد عنها قد لا يحدث انهياراً.
- ولفظة (جرف) لها مدلول هندسي يعني الفجوة من الأرض.
- ولفظة (هار) لها مدلول هندسي يعني التربة القابلة للانهيار.

يتضح مما سبق أن الآية الكريمة قد جمعت تقريباً جميع العوامل والأسباب الهندسية التي تؤدي باجتماعها إلى انهيار المبنى في الحفرة المجاورة للجرف، وهو أحد الملامح الاعجازية في مجال تصميم الأساسات للمباني. كما أشارت الآية إلى أهمية اختيار ودراسة الموقع الذي يتم اختياره لعملية إنشاء المبنى، فمثلاً البناء على حافة حفرة ذات تربة غير متماسكة سهلة الانهيار يعتبر من أسوأ الاختيارات، خاصة في حالة عدم أخذ الاحتياطات التصميمية اللازمة وأهمها اختيار نوع الأساس المناسب، أو التفكير في كيفية تدعيم هذه الحافة حتى لا تكون سهلة الانهيار[1].

وقال تعالى: ((**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**)) [النحل: ٨٠]، تبين الآية الكريمة السابقة العديد من المواد الإنشائية والعناصر التصميمية، وكيفية توظيف مواد البناء حسب موقع البناء وظروفه البيئية والمناخية والجغرافية والحضارية: "فلقد عرفت العمارة الإسلامية بتوافقها وتطابقها مع الوظيفة والمنفعة المبتغاة من المنشأة، وتحقيق الأمن والسلامة والاستقرار، وهي شروط عامة، ولكن مراعاة العادات والتقاليد

(1) وزيري، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، ص95-97، بتصرف.

الإسلامية والبيئة المناخية والاجتماعية؛ تبقى من الشروط الخاصة بالعمارة الإسلامية، بالإضافة إلى دراسة اقتصادية التصميم كي تتوافق مع الوضع الاقتصادي ومع ميزانية المشروع، ومراعاة النواحي الصحية[2]".

فمن أهم ضوابط الإنشاء في العمارة الإسلامية مراعاة الجانب الديني الذي يراعي مختلف المجالات البيئية والاجتماعية والاقتصادية، ونرى أغلب مدارس العمارة الحالية يرتكز اهتمامها حول التصميم البيئي من مراعاة المناخ، واختيار المواقع، وكل ما يندرج تحت ذلك، وتهمل إلى حد كبير الجانب الحضاري والديني في التصميم، ولا شك أن التركيز على الجانب البيئي لا يكفي وحده للحصول على تصميم ناجح؛ فلا بد في أي تصميم أن يراعي الملاءمة الاجتماعية والدينية كذلك[1]؛ فينبغي عدم الإغفال أبداً عن الجانب الديني فهو الأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه كل مبنى إسلامي.

2- مراعاة جوانب مختلفة:

هناك أمور ينبغي مراعاتها قبل البدء في الإنشاء؛ لضمان مبنى سليم قوي لا يضعف أو ينهار أمام ظروف الزمن، كاختبار الأرض واستكشاف نوعية التربة، ومدى تناسب الأرض مع الظروف الاقتصادية، والبيئية، والجغرافية، والاجتماعية، واختيار المهندسين ذوي الكفاءة العالية. كما توجد هناك ضوابط ينبغي مراعتها خلال مرحلة الإنشاء والتنفيذ كتهيئة الأرض للبناء ومسحها بشكل سوي، وتحديد مواقع ركائز المبنى وقواعده التي تحميه من الانهيار، وتوفير مواد البناء، واختيار ما يتوافق مع الظروف المناخية للأرض، وبناء الأعمدة والأسقف والجدران، وغيرها، ولكل ما ذكر ضوابطه الخاصة فيه.

3- وجود تصور مسبق للبناء:

لعل أهم ضابط ينبغي مراعاته قبل البدء في إنشاء مبنى ضرورة وجود تصميم مبدئي، وتصور مسبق للبناء، وتوفير خطة منهجية متكاملة مع توضيح الغرض من البناء؛ ليتم تحديد عملية الإنشاء وكيفية البناء وفق الخطة الممنهجة، وتحديد كل مبنى والغرض من إنشائه، والمواد التي يحتاج إليها، على سبيل المثال إن كان الغرض من البناء إنشاء مبنى في صخور الجبال؛ فسيحتاج الأمر إلى استخدام عملية النحت؛ لشق الصخور ونحتها، أما إن كان الغرض إنشاء مبنى في السهول، فلن يحتاج إلى عملية النحت وسيقتصر على البناء والتشييد، بالطريقة التي تتناسب مع طبيعة المكان، ويمكن التماس ذلك في قوله تعالى: **((وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ))** [الأعراف: ٧٤]؛ حيث توضح الآية الكريمة عمليات البناء والنحت: "(تتخذون من سهولها قصوراً) أي: من سهولة الأرض وهي ترابها تتخذون منه اللبن والآجر ونحو ذلك فتبنون به القصور، (وتنحتون) أي: تشقون، والنحت نجر الشيء الصلب[2]".

4- تحديد عناصر الإنشاء، ومتطلباته:

تعنى مرحلة الإنشاء بتحديد عناصر الإنشاء الذي يتبعه التصميم، ووضع ما يضمن سلامة المبنى، ويحافظ على توازنه ويحقق استقراره، ابتداءً من السقف وكل ما يحافظ على ثبات المبنى من أعمدة ودعامات وقواعد، مرورا بأجزاء المبنى ومرافقه، وانتهاءً بقاعدته والأساس الذي بني عليه المبنى، وجميع ذلك يتم من خلال الخضوع لمراحل الإنشاء والالتزام بضوابطه التي مرت بنا سابقاً والتي من أهمها: مراعاة موقع البناء، ودراسة علاقة موقع المبنى بالمواد التي سيتم استخدامها في البناء، ومراعاة مساحة المبنى وكيفية توزيع عناصره بطريقة متسقة تراعي جميع الجوانب المادية والمعنوية.

---

(2) الهنسي، عفيف، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها في مناهج التدريس، ص62-63.

(1) حريري، مجدي محمد عبدالرحمن، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ص19، بتصرف.

(2) القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ج4، ص397.

هذا وتتطلب مرحلة الإنشاء العديد من الأمور، أهمها: المعرفة التامة بعلاقة الوظائف الإنشائية بالبيئة، والدراية بمواد البناء وكيفية توظيفها، قال تعالى: ((**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**)) [الكهف: ٩٦]، تبين الآية الكريمة كيفية توظيف مادتي الحديد والنحاس في البناء، وكيفية استخراج مادة النحاس المذاب، بالإضافة إلى سبب اختيار هذه المواد التي تساعد على تحكيم هذا البناء. كما قال تعالى: ((**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**)) [القصص: ٣٨]، أما هذه الآية الكريمة فتبين غرض فرعون من إنشاء هذا البناء قاصداً به التكبر والتعالي والطغيان والعصيان، كما تبين الآية الكريمة استخدام مادة الطين في البناء وتوظيفها لهذا البناء الذي لن يؤدي بفرعون إلا إلى سوء العاقبة نتيجة لغرضه السيء من إنشائه.

5- ضابط المتانة في الإنشاء:

ولا نغفل عن ضرورة التشييد والبناء القوي بأن يكون المبنى مرصوصاً يشد بعضه بعضاً؛ فمن أهم الضوابط التي ينبغي مراعاتها ضابط المتانة في الإنشاء، وقوة البنيان، وقوة عناصره وقوة تصميمه الإنشائي الذي يجعل المبنى قوياً متصدياً لجميع العوامل التي قد تؤثر على صلابته. ولا نغفل في هذا الصدد عن دور التربة التي سيقام عليها المبنى إذ تساهم في قوة وصلابة المبنى الذي سيقوم عليها. ومن الضوابط التي ينبغي مراعاتها الاهتمام بقواعد البناء، وضرورة اتزان القواعد أو الأسس التي يقوم عليها المبنى؛ فهي بمثابة العمود الأساس الذي يقوم عليه، والذي ينبغي إحكامه والتركيز على قوته؛ فهو الذي يحفظ السقف من الوقوع، وليس هناك سقف من غير أعمدة تحافظ عليه وعلى المبنى بأكمله، قال تعالى: ((**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**)) [النحل:26].

المطلب الثاني: ضوابط تصميمية

يأتي التصميم الذي له ضوابطه في العمارة الإسلامية والذي يعرف بأنه الفعل الإبداعي الذي ينتج وفقا لمجموعة من الآليات التنظيمية التي تتصل بخصوصية الشكل التصميمي ومشهدية الطابع الابتكاري للصورة جمالياً وتقنيا، ويعمد المصمم الى إقتران فكرة العمل التصميمي بمعالجات تصميمية ترتبط بصيرورة الشكل، وطريقة البناء، والتنظيم الخطي، واللوني، والحجمي[1]. وتعد مرحلة ما قبل التصميم من أهم المراحل؛ لما لها من أهمية وأثر يعود على جودة التصميم وسلاسته، وسهولة تطبيقه، وضمان نجاحه؛ ولذلك لا بد قبل البدء في الإنشاء مراعاة الأحكام الفقهية، والحقوق، والقوانين، ومن أهم الضوابط التصميمية:

1- حسن توزيع المبنى، ومرافقه:

لعل من أهم الضوابط التصميمية في عمارة القرى والمدن الإسلامية الحرص على توزيع المباني بجوار بعضهم البعض وعلى امتداد البيئة العمرانية، والتوفيق في اختيار مواقع المباني والمنشآت، على سبيل المثال ينبغي أن تحدد مواقع المساجد بناء على التجمع العمراني، حتى يكون بمثابة الموقع المتوسط الذي يربط بين جميع المباني الموجودة في أرجاء المدينة ليتواصل جميع من يسكن في المدينة مع بعضهم البعض؛ حيث "انعزال المسجد عن بيئته العمرانية يمكن أن يساهم في إضعاف التواصل والترابط ما بين أفراد وجماعات المجتمع المسلم مع المسجد، فكلما زاد انعزال المسجد عن البيئة العمرانية كلما كان أداء المسلمين للصلاة في أماكن عملهم أو إقامتهم بدلا من الذهاب إلى المساجد لإقامة صلاة الجماعة فيها[2]".

ومن الأمور المهمة التي ينبغي على المعماري المسلم أن يراعيها: اتجاه القبلة، وذلك من خلال محاولة توجيه المبنى وغرفه نحو القبلة، وتجنب توجيه دورات المياه باتجاه القبلة؛ قال تعالى: ((**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ**

(1) غولي، الأنظمة التصميمية لزخارف المساجد الإسلامية، ص45، بتصرف يسير.

(2) وزيري، يحيى حسن، العمران والبنيان في منظور الإسلام، ص191.

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ))[البقرة: ١٤٤]. كما "كان لاتجاه القبلة واحترامها تأثير كبير على عمارة المساكن حتى في العهود التي كانت قبل الإسلام، ونلمح هذا الأمر الإلهي في قوله تعالى: **((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ))** [يونس: ٨٧][(1)]".

2- حسن تصميم أجزاء المبنى:

من الأمور المهمة التي ينبغي مراعاتها حسن استخدام الجدار، وحسن توزيعه، وانتقاء الجدار ذو الجودة والقوة والصلابة، قال تعالى: ((فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)) [الكهف: ٧٧]، تبين الآية الكريمة أهمية الجدار في صلب البناء وقيامه، وضرورة تجديده إن دار عليه الزمن حتى لا يقع ويهدم المبنى. وهناك أنواع وأشكال للجدار؛ فمنها ما تقتصر وظيفته على البناء الداخلي والمساعدة على صلب المبنى، وقوة تحمله، وهو الجدار الذي يستخدم في الداخل من أجل الفصل والتقسيم، وتختلف سماكته من حيث المكان. ومنها ما تكون له وظائف أخرى غير مقتصرة على الإنشاء كالعزل عن درجات الحرارة، والتي كلما زاد سمكها كلما كانت أكثر عازلية عن درجة الحرارة وهي الجدران التي تستخدم خارج المبنى.

قال تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)) [الرعد: ٢]، توضح الآية الكريمة إعجاز الله سبحانه وتعالى الذي أقام السماء من غير أعمدة، كما تبين الآية الكريمة العلاقة التي تربط بين الأعمدة والسقف والتي تمثل عمود المبنى وأساسه؛ حيث تمثل الأعمدة العمود الذي يستقيم عليه السقف والذي عدم وجوده يؤدي إلى انهيار السقف وسقوطه. ومن أهداف السقف أيضاً حماية الإنسان من الظروف المناخية سواء من درجة الحرارة، أو من الأمطار، وغيرها من عوامل المناخ. كما قال تعالى: ((وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ))[الزخرف: ٣٣]، جاء في الآية الكريمة مصطلح كل من السقف والمعارج، ويطلق مصطلح (المعارج) في القرآن الكريم على "السلالم[(1)]"، ولا شك أن للسلالم منفعتها البالغة في المباني، والتي يبنغي مراعاة إنشائها؛ فهي التي يتم من خلالها انتقال الإنسان من دور إلى دور آخر، وهي التي تشكل الرابط الذي يربط بين أدوار المبنى.

3- التناسب والانسجام بين العناصر:

من أهم الأمور التي ينبغي مراعتها في عملية التصميم: التناسب والانسجام بين العناصر، والوحدة وما تؤدي به من ارتباط الأجزاء، وتماسكها، والتوازن، والسيادة، والتباين وما يؤدي به من إثارة المتلقي وإحداث حالة من الجذب البصري، بالإضافة إلى التكرار والإيقاع الذي يشمل كل عناصر العمل الفني[(2)]. ولعل من أهم ما يعنى به التصميم الموقع الذي سيقام فيه المبنى، ومساحته، وطريقة توزيع مرافقه وملاحقه، ويتم دراسة ذلك من خلال التخطيط المسبق الذي يأخذ تلك الأمور بعين الاعتبار، ويكون ذلك من خلال عدة طرق يقوم بها المهندس المعماري الذي يبدأ مرحلة تصميمه بعد الدراسة النظرية بمخطط أو مجسم توضيحي دقيق، سواء كان ذلك المخطط أو المجسم تم عمله يدوياً أم إلكترونياً؛ لما يضمن جودة التصميم الذي تتم فيه مراعاة الناحية الشكلية، والمادية، وسائر الأمور التي تتعلق بالإنشاء والتصميم منها البيئة وجغرافية المكان، ومراعاة الجانب الديني والاجتماعي.

(1) وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص41.

(1) طرشاوي، بلحاج، العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية، ص١٨٩-١٩٢.

(2) غولي، الأنظمة التصميمية، ص56-67، بتصرف.

4- مراعاة الخصوصية في التصميم:

أمر المنهج القرآني بحفظ خصوصية المكان واعتبره من الأساسيات التي ينبغي أن يقوم عليها الإنشاء والتصميم في الإسلام لا سيما خصوصية المباني السكنية، سواء داخل المبنى كتوزيع غرف النوم، قال تعالى: ((**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**)) [النور:58]، أو كان خارج المبنى، قال تعالى: ((**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)) [النور: ٢٧]، وفي الآية الكريمة إشارة إلى ضرورة مراعاة خصوصية المكان عند تصميم وإنشاء المبنى، وذلك يتم من خلال العديد من الأمور التي من أهمها: الحواجز والمشربيات، وطريقة النوافذ، وتوزيع الأبواب كأن يكون هناك مدخل للضيوف، ومدخل خاص لأفراد العائلة.

والتصميم الداخلي له خصوصيته الفردية التي تتناسب مع احتياجات وإمكانيات الفرد، أما التصميم الخارجي فله خصوصيته الاجتماعية، فهو مرتبط بالمجتمع أكثر من الفرد وهذا انعكاس لمبدأ الوسطية ما بين تطلعات الفرد وقيم المجتمع. الأمر الذي ينعكس على العملية التصميمية والقدرة على الإبداع والابتكار بمعنى ترك الحرية المطلقة في الداخل وتحديد الحرية المقيدة في الخارج؛ وهذا ما يمكن أن تتميز به العمارة في الإسلام عن غيرها [1].

5- الاقتصاد في التصميم والبناء:

يدعو ديننا الإسلامي الحنيف إلى الاقتصاد وعدم المبالغة في التزيين، وكل ما يؤدي إلى هدر الأموال والإسراف الذي ليس في محله، يؤكد ذلك قوله تعالى: ((**يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**)) [الأعراف: ٣١]، وكذلك جاء النهي عن ما يبين مظاهر التكبر على الناس والتي منها عدم استخدام الحرير الطبيعي في مقاعد الجلوس، وآواني الذهب والفضة؛ فعن حذيفة رضي الله عنه قال: **((إنهانا النبي – صلى الله عليه وسلم- أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه[2]))**.

6- مراعاة الجانب الجمالي:

من الضوابط التي ينبغي مراعاتها في جميع مراحل البناء من تصميم وإنشاء الجانب الجمالي، الذي يضيف إلى المبنى هيبته، ويخدم الإنسان من حيث الإمتاع الحسي والعاطفي لديه، ويكون ذلك من خلال العديد من الأمور التي من أهمها: التنويع في استخدام المواد المختلفة كالرخام والتنويع في الإضاءات، والتوفيق في اختيار الألوان التي تتناسب مع كل جزء من أجزاء المبنى ومرافقه، واستخدام الزجاج الذي يساعد على دخول أشعة الشمس في المبنى؛ فذلك يؤثر على نفسية الإنسان ويشعره بالراحة. بالإضافة إلى الاهتمام بالعمارة الخضراء التي تلعب دوراً رئيساً في صحة الإنسان ونفسيته، وإدخال البهجة والسرور والشعور بالراحة كما ذكرنا سابقاً. بالإضافة إلى توفير نوافير مائية حتى وإن كانت ذات حجم متواضع لأن ذلك يلعب دوراً في الجانب الجمالي للمبنى، ويساهم في تلطيف الجو، بالإضافة إلى تزيين المبنى بالزخارف والأشكال الهندسية، "وأن يجمع التصميم بين مميزات الأصالة ومنافع المعاصرة، وأن تكون التفاصيل المعمارية وظيفية وهادفة وليست للزخرفة الشكلية فقط[1]"، ومن الآيات الكريمة التي تبين دور الزينة، قوله تعالى: ((**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**)) [ق:6]، تربط الآية الكريمة الزينة بالبناء، وما تعكسه الزينة من جمال المنظر؛ فيجب عدم الإغفال عن جانب الحس الفني والجمالي، والذي

(1) عبدالباقي، إبراهيم، رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الإسلام، ص21، بتصرف يسير.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب افتراش الحرير، ج3، ص1206، رقم (5414).

(1) حريري، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ص28-29.

يحتاج إلى رسامين مهتمين في مجال التصميم والإبداع المعماري، ومن هم على دراية بما يتعلق بإنشاء المباني، وتفاصيلها من مواد بناء وعناصر، ومن هم على دراية بضوابط الشريعة الإسلامية في الزينة والزخارف.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي جاءت بجملة من المعايير والضوابط المعمارية ينبغي أن نشير إلى أهمية تجديد وإصلاح المباني بين كل فترة زمنية؛ وذلك حرصاً على صيانة وتقوية المباني من خلال ترميم بعض أجزائها وعناصرها، والتأكد من ثبوتها وقوتها؛ تجنباً من وقوع الأضرار المادية والمعنوية. كما يتضح مما سبق أول ما يجب البدء فيه أثناء عملية الإنشاء هو تهيئة موقع المبنى من خلال الشروع في الحفريات، ومن ثم البدء بإنشاء هيكل المبنى. هذا ويتوجب في مرحلة الإنشاء الإلمام والمعرفة العميقة بالأنظمة والقوانين الإنشائية التي حث عليها المنهج القرآني، ومواكبة التطور والتقدم التكنولوجي في الإنشاء، وكيفية استخدام المواد التي تتناسب مع المبنى من حيث الموقع والجودة والتكلفة والنوع. كما يتضح من خلال ما سبق ارتكاز ضوابط العمارة الإسلامية حول بعض العناصر المعمارية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، والمتعلقة بالمباني والمدن الإسلامية.

النتائج:

1- صلاح العمارة الإسلامية لكل زمان ومكان، وهذا خلاف غيرها من الحضارات التي كانت تخص حقبة معينة، ثم ينتهي معها كل شيء بانتهاء مدتها؛ فمثلاً تأتي وظيفة الفناء الداخلي للمنزل من أجل الحفاظ على الترابط الأسري، وتوطيد الجانب الاجتماعي، بالإضافة إلى الخصوصية؛ لتستمر هذه الوظيفة حتى وقتنا الراهن.

2- تكمن عبقرية العمارة الإسلامية في استمراريتها بالمحافظة على المضمون والغرض الوظيفي من البناء، وتطبيق المضامين التي كانت عليها سابقاً عبر امتداد الدهر حتى وقتنا الراهن.

3- ارتباط عمارة البنيان بعمران الوجدان؛ حيث جاءت المنشآت المعمارية لتحفظ كينونة الإنسان، من خلال تحقيق مقاصد الشريعة المتمثلة في حفظ الدين؛ وما ينتج عنها من قيام منشآت دينية، وحفظ النفس والاهتمام بالمنشآت الصحية، وحفظ العقل والعناية بالمنشآت التعليمية، وحفظ المال والاهتمام بالمنشآت الصناعية والتجارية، وحفظ العرض والاهتمام بالمباني السكنية.

4- يخاطب القرآن الكريم عقل الإنسان وقلبه، ويراعي جميع الجوانب التي تؤثر عليه، وفق أساليب مختلفة تدعوه إلى التفكر والتأمل في جميع ما حوله من مسخرات تساعده في تحقيق الخلافة والعمارة في الأرض.

5- تتميز العمارة في القرآن الكريم بتعدد عناصرها وتنوعها، والتي أدت إلى تميز العمارة الإسلامية، وغنى قيمها المعنوية والمادية.

التوصيات:

1- إخضاع مواكبة العصر لمنهجية الإسلام والثوابت والقواعد الشرعية، بأن لا يبنى المبنى على هوى الإنسان، بل يضع الضوابط الشرعية نصب أعينه قبل البدء في أي شيء.

2- عدم فصل العمارة الإسلامية عن الجانب الإنساني، بزيادة التعاون بين المختصين في العلوم الإنسانية والمختصين في العلوم الهندسية؛ تأكيداً على عمران الإنسان قبل عمارة البنيان.

3- الالتزام بالضوابط المعمارية التي جاءت في القرآن الكريم، والتي تخدم الجانب البيئي والجغرافي والتصميمي، واعتمادها كاستراتيجية للعمارة المثالية.

4- زيادة الاهتمام بالتفاعل مع البيئة، وضرورة استثمار واستغلال الموارد الطبيعية في خدمة العمارة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وهو الهادي سبحانه إلى سواء السبيل

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي التحرير والتنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984ه).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تـ: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407ه/ 1987م).
- الهنسي، عفيف، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها في مناهج التدريس، (د.م: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، د.ط، 1424ه/2003م).
- حريري، مجدي محمد عبدالرحمن، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، (مكة المكرمة: د.ن، ط1، 1409ه/1989م).
- حسن، نوبي محمد، العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، (مصر: جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، د.ط، د.ت).
- الخولي، محمد بدرالدين، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، (د.م: دار المعارف، د.ط، د.ت).
- دويدري، رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1421ه/2000م).
- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط17، 1412ه).
- صديق خان، أبو الطيب محمد صديق خان حسن القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، 1412ه/1992م).
- ضاهر، عبدالوهاب مصطفى، العمارة وحل مشاكل البيئة في الإسلام، (ماجستير): إشراف: زعتري، علاء الدين (بيروت: كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، د.ط، 1435ه/2014م).
- طرشاوي، بلحاج، العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية، (دكتوراه): إشراف: بلحاج، معروف (الجزائر: النشر الجديد الجامعي، د.ط، 2017م).
- عبدالباقي، إبراهيم، رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الإسلام، النشأة، العقيدة، المنهج، النظرية، سيرة ذاتية، (د.م: د.ن، د.ط، 1419ه/1999م).
- عبدالجواد، توفيق حمد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، (مصر:مكتبة الأنجلو المصري، د.ط، د.ت).
- غولي، أنوار علي علوان عباس، الأنظمة التصميمية لزخارف المساجد الإسلامية، (عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، 1436ه/ 2015م).
- الوزيري، يحيى حسن، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1428ه/2008م).
- الوزيري، يحيى حسن، العمارة الإسلامية والبيئة، (الكويت: مطابع السياسة، د.ط، 1425ه/2004م).
- الوزيري، يحيى حسن، العمران والبنيان في منظور الإسلام ، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1429ه/2008م).